زيارة الأربعين المشروعية والأبعاد

د. فالح حسن علي القريشي

جامعة الإمام الصادق عليه السلام

Falih.hassan.ali@sadiq.edu

الملخص

تحتل الزيارات والأماكن المقدسة موقعاً هاماً في شخصية الإنسان المتدين في كل الديانات وتأثيرها لا يقتصر على الواجبات، بل يمتد ليشمل المستحبات والمكروهات التي تترك آثاراً إيجابية على وعي الإنسان وسلوكه وتفكيره. ولذلك فأن زيارة العتبات المقدسة والمستحبات الأخرى تترك روابط عميقة وأثراً بالغاً في ترسيخ قيم الفضيلة والتضحية والوفاء. خصوصاً المراقد المطهرة لآل البيت عليهم السلام، وأبرزهن زيارة العاشر من محرم ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام وكذلك زيارة الأربعين لمرقد الإمام الحسين عليه السلام. وتعد زيارة الأربعين من أكبر الزيارات وأهمها في تاريخ المسلمين وأتباع أهل البيت وكانت تسمى (زيارة الأنصار) وهي نسبة إلى أنصار الحسين عليه السلام وقد حث الأئمة على هذه الزيارة وإقامة شعائرها. فهي تأكيد دائم على الولاء للنهضة الحسينية وسيرتها الخالدة ورسالة واضحة إلى كل طغاة العالم وصرخة مدوية بوجه الظالمين والمستبدين وأن التواصل مع مبادئ الإمام الحسين عليه السلام – عقيدة ثابتة وراسخة في أذهان الأمة. إن التاريخ الإسلامي يحمل أجمل الصور وأبلغ الدروس والعبر، والتراث الإسلامي غني في شتى المجالات العلمية والاجتماعية والروحية والجهادية.. والملحمة الحسينية هي أبرز تلك المواقف والأحداث التي أثرت في المجتمع الإسلامي وحفظت الإسلام من الضياع ورسخت الهوية الإسلامية وكشفت زيف المتلبسين بلباس الإسلام والحق وعرت الباطل، الذي سقط بفعل الثورة والحركة التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء. ولقد حاول كثير من الطغاة من بني أمية وبني العباس القضاء على هذه الملحمة وآثارها الكبيرة في نفوس المسلمين وغير المسلمين. الانفتاح على الإمام عليه السلام والحدث الحسيني من حيث هو نموذج عالي للقيم الإسلامية والإنسانية، ويمثل درجة عالية من الوعي السياسي والإسلامي والإنساني، لأنه استجاب للأمة التي كانت تعاني الظلم والفقر، والواقع المنحرف أيام الحاكم الأموي ولهذا أنطلق (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي). كان الإمام الحسين عليه السلام يعيش القضية بعقله وقلبه ومسؤوليته التاريخية وواجبه الإسلامي الملقى على عاتقه وبلغ أحساسه الإنساني بالمجتمع لذلك قال ((فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بقبول الحق)) ولذلك لم يدعو إلى زعامة وخلافة شخصية وإنما

دعا إلى تأييد الحق المرتبط بالله. إن هذه الزيارة المليونية التي يتوجه الناس إليها صوب كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام هي من أقوى الرسائل التي يبعثها عشاق الحسين إلى كل حاكم متسلط وطاغية قديماً وحديثاً.. لتقول لهم نحن نرفضكم وقد فشلتم في القضاء علينا وقد انتصرت مبادئ الحسين لأنها من أجلنا وأصبح ملاذاً لكل المؤمنين والأحرار من مختلف الأديان والملل والنحل، وهذه الزيارة باقية وتتمدد وتتوسع إلى يوم القيامة. لذلك تتطلب منا أن نجيب على أسئلة البحث الآتية:

- الأصل الشرعي لزيارة الأربعين وتاريخها والروايات التي أكدتها.
- تسليط الضوء على هذه الشعيرة وجذورها التاريخية وكيف تطورت؟
- الكشف عن حضور هذه الزيارة البارز في حياتنا الاجتماعية والدينية.
- فوائدها الروحية والعقائدية والسياسية والاجتماعية والثقافية وأثارها الإيجابية.
- توظيف هذه الشعيرة واستثمارها من أجل الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومواجهة الفساد المالي والإداري.
- المشي والبكاء والتشبيه (المسرح الحسيني) وتجسيد المعركة واحداثها واستنباط العبرة منها.
- تهذيب هذه الزيارة من المستجدات والبدع التي طرأت عليها وبعض السلوكيات الخاطئة المسيئة إلى قدسية الحدث الحسيني.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الزيارة المليونية، التاريخ الإسلامي، الملحمة الحسينية، واقعة كربلاء.

Legitimacy and Dimensions of The Fortieth Day Visit

Dr. Falih Hassan Ali Al-Quraishi

Al-Imam Al-Sadeq University (peace be upon him)

Abstract

Visits to holy sites occupy an important position in the personality of a religious person regardless of his/her religion and its impact is not limited to performing religious duties, but extends to the person's relation to leaving "disliked" (makrouh) doings and performing "recommendable" (mustahabb) doings that have positive effects on a person's consciousness, behavior and thinking. Hence, visiting Sacred sites and performing other recommendable doings tie the person closely with values of virtue, sacrifice, and loyalty leaving a profound impact on the entrenchment of those values in his/her character. These visits are specifically impactful when paid to the Sacred Shrines of the "Prophets' Family" (Ahl Albeit) (peace be upon them) In particular, mainly Imam Al-Hussain's (peace be upon him) Shrine on the tenth of Muharram and on The Fortieth Day after his martyrdom. The Fortieth Day Visit is considered one of the most important and largest visits in the history of Muslims and followers of (Ahl Albeit), and was called

the "Al-Ansar Visit" (supporters' visit) in reference to the supporters of Imam Al-Hussain (peace be upon him). Infallible Ahl Albeit Imams have always urged their followers to perform its rituals. This visit is a constant affirmation of loyalty to Imam Al-Hussain's Rise against tyranny, and its immortal course, it is a clear message to all tyrants in the world, and a resounding cry in the face of oppressors and autocrats, stating that living by the principles of Imam Al-Hussein (peace be upon him) is a firm and entrenched faith in the minds of the nation. The Islamic history bears the most beautiful images, lessons, and morals, and the Islamic heritage is rich in various scientific, social, spiritual and jihadist fields…. The Real Epic of Imam Al-Hussain is the most prominent of those heroic events, it has affected the broad Islamic community, kept Islam from being lost, entrenched the Islamic identity, uncovered falsehood and revealed the truth of the insincere fake people who pretended to be Muslims. Imam Al-Hussain's (peace be upon him) revolution defeated falsehood through the real epic of Karbalaa'. However, many tyrants from Umayyad tribe (Bani Umayah) and Al-Abbas Tribe (Bani al-Abbas) have tried to eliminate the effect and course of this real epic, and tried to eliminate its significant effects on the consciousness of Muslims and non-Muslims at those times. Openness to the Imam (peace be upon him) and his real epic rise as a splendid model of Islamic and humanitarian values, represents a high degree of political, Islamic and humanitarian awareness, because the Imam moved and set off in response to the nation that was suffering from injustice and poverty, and the perverse conditions under the authority of Umayyad ruler. Imam Al-Hussain's (peace be upon him) famous statement was (I moved and set off to demand reform in my Grandfather's (peace be upon him) nation). Imam Al-Hussain (peace be upon him) was living the cause with his mind, heart, historical responsibility, and his Islamic obligation, and he conveyed his sense of humanity to the society, so he said "Who accepts me through accepting the right, then God is the First in accepting the right", therefore he did not call for leadership and personal succession but called for support of the "right" associated with God. This multi-million persons visit to Karbala, The Fortieth Day Visit of Imam Al-Hussain is one of the strongest messages that Al-Hussain lovers send to every past and present domineering and tyrant ruler, telling those rulers we reject you and you have failed to eliminate us, Imam Al-Hussain's (peace be upon him) principles have triumphed because they are for our sake and he with those principles have become a sanctuary for all believers and free humans of different religions, sects, and affiliations. This visit shall remain, extend, and expand to doomsday. We are therefore required to answer the following quests:

- Explain the legitimate origin of The Fortieth Day Visit, its history and the sacred narrations that confirmed it.

- How has this historical ritual evolved? Highlight this ritual and its historical roots.

- Reveal the presence of this outstanding visit in our social and religious life.

- Its spiritual, ideological, political, social and cultural benefits, and positive effects.

- Utilize this ritual in social and political reform and in confronting financial and administrative corruption.

- Marching, crying, and the analogy through acting the events of the battle (Imam Al-Hussain's (peace be upon him) Theatre) to take them as moral lessons.

- To refine the practices of this multi-million persons visit ensuring the removal of

few novel fads and misconduct, and this to ensure nothing touches the sanctity of the blessed event

Keywords: The Fortieth Day Visit, Multi Million Persons Visit, Islamic History, Imam Al-Hussain's (peace be upon him) Real Epic, Karbalaa' Tragic Epic.

المقدمة

تحتل الزيارات والأماكن المقدسة موقعاً مهماً في شخصية الإنسان المتدين في كل الديانات وتأثيرها لا يقتصر على الواجبات، بل يمتد ليشمل المستحبات والمكروهات التي تترك آثاراً إيجابية في وعي الإنسان وسلوكه وتفكيره.

ولذلك تترك زيارة العتبات المقدسة والمستحبات الأخرى روابط عميقة وأثراً بالغاً في ترسيخ قيم الفضيلة والتضحية والوفاء. لا سيما المراقد المطهرة لآل البيت عليهم السلام، وأبرزها زيارة العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام وكذلك زيارة الأربعين لمرقد الإمام الحسين عليه السلام.

وتعد زيارة الأربعين من أكبر الزيارات وأهمها في تاريخ المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام وكانت تسمى (زيارة الأنصار) وهي نسبة إلى أنصار الحسين عليه السلام وقد حث الأئمة على هذه الزيارة وإقامة شعائرها. فهي تأكيد دائم للولاء للنهضة الحسينية وسيرتها الخالدة ورسالة واضحة إلى كل طغاة العالم وصرخة مدوية بوجه الظالمين والمستبدين وأن التواصل مع مبادئ الإمام الحسين عليه السلام – عقيدة ثابتة وراسخة في أذهان الأمة.

إن التاريخ الإسلامي يحمل أجمل الصور وأبلغ الدروس والعبر، والتراث الإسلامي غني في شتى المجالات العلمية والاجتماعية والروحية والجهادية، والملحمة الحسينية هي أبرز تلك المواقف والأحداث التي أثرت في المجتمع الإسلامي وحفظت الإسلام من الضياع ورسخت الهوية الإسلامية وكشفت عن زيف المتلبسين بلباس الإسلام والحق وعرت الباطل، الذي سقط بفعل الثورة والحركة التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء.

ولقد حاول كثير من الطغاة من بني أمية وبني العباس القضاء على هذه الملحمة وآثارها الكبيرة في نفوس المسلمين وغير المسلمين.

الانفتاح على الإمام عليه السلام والحدث الحسيني من حيث هو نموذج عالٍ للقيم الإسلامية والإنسانية، ويمثل درجة عالية من الوعي السياسي والإسلامي والإنساني، لأنه استجاب للأمة التي كانت تعاني الظلم والفقر والواقع المنحرف أيام الحاكم الأموي ولهذا انطلق: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

كان الإمام الحسين عليه السلام يعيش القضية بعقله وقلبه ومسؤوليته التاريخية وواجبه الإسلامي الملقى على عاتقه، وبلغ إحساسه الإنساني بالمجتمع حتى قال: ((فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)) ولذلك لم يدعُ إلى زعامة شخصية وإنما دعا إلى تأييد الحق المرتبط بالله.

إن هذه الزيارة المليونية التي يتوجه الناس فيها صوب كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام هي من أقوى الرسائل التي يبعثها عشاق الحسين إلى كل حاكم متسلط وطاغية قديماً وحديثاً، لتقول لهم: نحن نرفضكم وقد فشلتم في القضاء علينا وقد انتصرت مبادئ الحسين لأنها من أجلنا وأصبح ملاذاً لكل المؤمنين والأحرار من مختلف الأديان والملل والنحل، وهذه الزيارة باقية وتتمدد وتتوسع إلى

يوم القيامة. لذلك تتطلب منا أن نجيب عن أسئلة البحث الآتية:

- الأصل الشرعي لزيارة الأربعين وتاريخها والروايات التي أكدتها.
- تسليط الضوء على هذه الشعيرة وجذورها التاريخية وكيف تطورت.
- الكشف عن حضور هذه الزيارة البارز في حياتنا الاجتماعية والدينية.
- فوائدها الروحية والعقدية والسياسية والاجتماعية والثقافية وآثارها الإيجابية.
- توظيف هذه الشعيرة واستثمارها من أجل الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومواجهة الفساد المالي والإداري.
- المشي والبكاء والتشبيه (المسرح الحسيني) وتجسيد المعركة واحداثها واستنباط العبرة منها.
- تهذيب هذه الزيارة من المستجدات والبدع التي طرأت عليها وبعض السلوكيات الخاطئة المسيئة إلى قدسية الحدث الحسيني.

مشروعية زيارة الإربعين

أول من زار الحسين عليه السلام:

كان أول من زار الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده في كربلاء هي السيدة زينب عليها السلام، كما ينقل التاريخ في ليلة الحادي عشر من محرم جمعت النساء والأيتام في خيمة نصف محترقة، وعندما سكتت الأصوات ونامت العيون صلت صلاة الليل عن جلوس ثم قامت إلى التل ونظرت إلى ساحة المعركة فلم تجد إلا أكواماً من الحجارة وبقايا السيوف والرماح. وهناك عدة من احتمالات فقالوا بأنها شمَّت عبير الرائحة الزكية لجسده الطاهر فعرفته عليه السلام، وقالوا بأنها عرفته بطريقة غيبية، وقيل بأنها رأت جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأباها الإمام علي عليه السلام وأمها الزهراء وأخاها الحسن عليه السلام على الجسد المقطع للحسين.

وبعد أن سلمت على أخيها المذبوح وضعت يديها الشريفتين تحت جسده الطاهر ورفعته إلى السماء قليلاً وأطلقت كلمتها ((اللهم تقبل هذا القربان من آل محمد...)) فكانت بذلك أول من قامت بزيارة الحسين وبعد ذلك جاء الإمام السجاد عليه السلام ومعه بنو أسد لدفن الأجساد الطاهرة فكان هو ثاني زائر للحسين عليه السلام[1].

أما رواية أبي ريحان البيروني فهي: ((العشرون من صفر رد رأس الحسين إلى جثته حتى دفن مع جثته، وفي زيارة الأربعين، وهم حرمه بعد انصرافهم من الشام))[2].

وقول آخر: يرى أن أول من زاره يوم الأربعين هو الإمام زين العابدين[3] وذلك عند رجوعه بالسبايا من الشام وإرجاعه الرؤوس إلى الأجساد الطواهر[4].

جابر بن عبد الله الأنصاري ثاني زوار الحسين عليه السلام بعد عياله:

قال الراوي: لما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابراً (رضي الله عنه) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردوا لزيارة الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المأتم المقرح للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً))[٥].

وعن صفوان الجمال قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه (وذكر الزيارة) ثم تصلي ركعتين وتدعو بما أحببت وتنصرف، وهذه الراوية تشير إلى لقاء جابر بن عبد الله الأنصاري بأهل البيت عليهم السلام في يوم الأربعين دون ذكر تفاصيل هذا اللقاء.

إن زيارة القبور سنة نبوية: روي في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: ((كان رسول الله يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد))[٦] وقال تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ وحرمات الله هم أهل البيت.

وقال تعالى ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ و﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

أهم روايات زيارة الأربعين

وردت روايات كثيرة في أهمية زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ومن مصادر كثيرة تؤكد لنا مشروعية هذه الزيارة وأهميتها في مذهب أهل البيت وللمسلمين، ولا سيما إذا كانت هذه الزيارات مصدرها الإمام المعصوم عليه السلام.

١. رواية نقلها (ابن نما الحلي) في كتابه (مثير الأحزان) والسيد ابن طاووس في مؤلفه (اللهوف والإقبال) تفيد أن الإمام زين العابدين عليه السلام جاء بعيال الحسين عليه السلام عند رجوعهم من الشام إلى المدينة، ووصلوا كربلاء يوم العشرين من صفر وقد أقاموا عنده ثلاثة أيام وأقاموا فيها العزاء، وقد تزامن وصول جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم في ذلك اليوم فزاروه وأقاموا عنده))[٧].

٢. قول الإمام الصادق عليه السلام لصفوان بن مهران في زيارة الأربعين: ((تزور عند ارتفاع النهار))[٨].

٣. روى الحر العاملي عن الإمام الحسن العسكري: قال ((علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[٩].

٤. رواية الطبري: زيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري لقبر سيد الشهداء، فقد روى الطبري في (الأمالي) بسنده عن عطية بن سعد بن جنادة الكوفي قال: خرجت مع جابر الأنصاري زائرين قبر الحسين عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائتزر بأزار وارتدى آخر ثم فتح صرة فيها سعد فنشرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه، فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلما فاق قال: يا حسين ثلاثاً ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال وإنّى لك بالجواب وقد شطحت أوداجك

على أثباجك وفرّقَ بين رأسك وبدنك فأشهد انك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف النفوس وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء))[١٠].

٥. رواية الشيخ الطوسي: في العشرين من صفر كان رجوع حرم سيدنا الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ويستحب زيارته فيه وهي زيارة الأربعين[١١] وهي زيارة مستحبة وتعبر عن البعد الولائي لأهل البيت عليهم السلام ومودتهم، وهي مظهر من مظاهر الاعتراف الواضح بالولاية الحقيقية التي أمر بها الله ورسوله ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾.

أهداف زيارة الأربعين:

١. الثواب وغفران الذنوب

وردت كثير من الأحاديث الشريفة في فضل زيارة الحسين عليه السلام وآثارها الدنيوية والأخروية بما يزيد على مئة أثر[١٢]، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((ومن زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر))[١٣]، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((من أراد أن يعلم انه من أهل الجنة فليعرض حبنا على قلبه فإن قبله فهو مؤمن ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة قبر الحسين فمن كان للحسين زواراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت وكان من أهل الجنة ومن لم يكن للحسين عليه السلام زائراً كان ناقص الإيمان))[١٤].

٢. العبرة من الموت والقدوة من الأوليات

ذكر القرآن الكريم كثيراً من قصص الأنبياء والصالحين ومدحهم، أن في قصصهم عبرة لأولي الألباب وقدوة حسنة للمؤمنين؛ فزيارة قبور الأئمة والصالحين مستحبة وفيها فوائد كثيرة لجعلهم قدوة للأجيال الناشئة حتى تبقى ذكراهم حية في النفوس. وهناك عند زيارة القبور ومراقد أهل البيت يقرأ القرآن والأدعية ويعبد الله في تلك الأجواء الروحانية ويتضاعف ثواب العمال تحت قبة مرقد الحسين عليه السلام ونجدد ذكرى هؤلاء الشهداء الذين ضحوا بكل ما يملكون من أجل الدين والحق فلا بد أن نتواصل معهم عن طريق أعمال الخير والبر والدعاء والصلاة.

لذلك على الزائر أن يقرأ السيرة الحسينية العطرة وأصحابه وأولاده ومكارم أخلاقه وجهاده وحرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عندما نقرأ زيارة (وارث) وهي من أعظم زيارات الحسين عليه السلام ونقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليكم يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله.. إن الحسين هو سليل الأنبياء، هو ابن الأنبياء.. إن الحسين هو وارث هؤلاء جميعاً.. وبنهضته اختصر كل ما قام به الأنبياء من إصلاح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وتحكيم شرع الله!

والناس عامة منذ القدم يزورون قبور الأولياء والعظماء فقد كان الإغريق يعتقدون أن النفس لا

تفنى والنفس الناطقة باقية بعد الموت وهم بزيارتها يحصلون على البركة... أما المدارس الروحية بصورة عامة فتعتقد أن الروح لا تموت وهو أمر يلائم الفطرة السليمة ويعتقدون أن روح الولي ترفرف حول ضريحه ويستمدون من هذه الروح البركة))[١٥].

إن الله يحب أن يزار أولياؤه فالنبيﷺ قال: ((ألا فزوروها ولا تقولوا هجراً فإنه بدا لي أن يرق القلب))[١٦] وكذلك الإمام عليعليه السلام عن رسول الله أنه ((رخص في زيارة القبور وقال: تذكركم الآخرة)).

وأن المؤمن الذي يزور قبر الحسينعليه السلام تستقبله الملائكة الحافون بالمرقد الشريف وتودعه، والحديث الشريف يقول بأن جبرائيلعليه السلام يودع زائر الحسينعليه السلام وهذه رحمة عظيمة من الله لزائر الحسين في قبره المقدس وحرمه الطاهر.

٣. الانشغال في همّ الحسين وأهل بيته:

والأنصراف عن هموم الإنسان الذاتية والارتفاع عن الأنانية.

لذلك لا تكون أي حادثة في طريق الزائرين إنما تقع الحوادث إذا كانت النفوس ضيقة وحريصة وذات أطماع أما نفوس المشاية والزائرين فإنها عالية الهمة ومتحررة من الأنانية والتعلقات النفسية، ومن هنا سوف يكون المسير كعبة للقلوب ومجالاً لتطهير النفوس لأنها تطوف بهذه المصيبة وتنشغل بروح الحسين المحلقة في فضاء الله وقيم الفضيلة وتراتيل الروح الحرة المتعلقة بالسماء والحرية لذلك روي عن الإمام الرضاعليه السلام: ((من زار قبر أبي عبد اللهعليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه)).

إن زوار أربعين الحسين يحلقون في عالم القيم ويحاولون الوصول إلى ما وصل إليه الحسين من نقاء وطهر وتمسك بالأهداف الإلهية التي تنشد كرامة الإنسان وعزته.

لقد ذاب الحسينعليه السلام في الله فمن يذوب معه ومن ذاب فيه ذاب في الله وفاز فوزاً عظيماً.

من يفد على الحسين فإنه فائز وناجح بإذن الله لأنه اختار النور الحسيني ووفد إلى الله، لأن الحسين ثأر الله وسيد الشهداء وطريقه طريق الرحمن الإلهي وساحته الساحة الإلهية وسوف يقضي حياته قريباً من المظلومين والمحرومين وهموم المستضعفين.

عظمة كربلاء وتربتها

في هذه البقعة الطاهرة سفكت أزكى الدماء لآل النبيﷺ وسبيت أطهر النساء نساء النبي وبناته في كربلاء؛ وفي تربتها المقدسة دفنت الأجساد الطاهرة لآل النبي وأصحاب الحسينعليه السلام ((وأن الملائكة قد زارت كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنها الحسينعليه السلام وما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل وميكائيل يزورانه))[١٧].

ولذلك خص النبيﷺ الحسين بثلاث: ((يستجاب الدعاء تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ذريته)).

ضريح الحسين عليه السلام مكانٌ للثوار

دأب بنو أمية على منع زيارة الحسين ومحاربة المرقد الطاهر وهدمه لمنع تدفق الناس نحوه وكفَّروا من يذهب لزيارته وجعل زيارته بدعة وقتلوا من يزوره ونكلوا بالزائرين وعذبوهم بقطع الأيدي والأرجل ومصادرة الأموال ومختلف ألوان التعذيب والأهانات.

لذلك انفجرت ثورات الأحرار مثل ثورة (سليمان بن صرد الخزاعي) وأصحابه الذين نزلوا بكربلاء ومنها بدأت ثورتهم المباركة وهكذا شأن كل الثورات ورجالها الذين أصبحوا يتجمعون عند قبر الإمام الحسين عليه السلام ليستلهموا دروس كربلاء ويبدؤون بالإنطلاق بالثورة ضد الفساد.

استحباب المشي لزيارة الحسين عليه السلام

السير لزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء مستحب دون شك ومن أفضل المستحبات والعمل إنما يكون أفضل إذا لازمته المشقة، وقد ورد الاستحباب في الحج ماشياً.

وقد ورد المشي في القرآن الكريم في آيات عديدة وموضوعات مختلفة منها ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[١٨] و﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاء﴾[١٩].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: ما عبد الله بشيء أفضل من المشي إلى بيته.

وقال عليه السلام: إن الحسين بن علي عليه السلام حج عشرين حجة ماشياً.

ويقول الفقهاء: ((إن المشي مفضل على الركوب في طريق الحج لأنه أكثر مشقة وتواضعاً وثواباً)).

وهناك فضل في المشي إلى الحج، ومن حج بيت الله ماشياً كتبت له (٧) سبعة آلاف حسنة.

والمشي خلف جنازة المؤمنين وزيارة المرضى فيه ثواب كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك المشي في قضاء حوائج الناس، والمشي في طلب العلم، ومنها قوله تعالى في أدب مشي النساء ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء﴾[٢٢].

وهنا وصف للمشي الممدوح وصف الله مشية البنت المؤدبة والقدوة.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[٢٣].

وذلك حين تضرب المرأة بقدمها عند المشي الأرض حتى تسمع ما تحمل منه رجلها من أساور وغيرها.

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أن أعظم الناس أجراً في

الصلاة أبعدهم إليها ممشى»[٢٤].

وروي عن الصادقعليه السلام قال: قال ابن عباس ((ما ندمت على شيء ندمي على أني لم أحج ماشياً لأني سمعت رسول الله يقول: من حج بيت الله ماشياً كتب له سبعة آلاف حسنة من حسنات الحرم وقالصلى الله عليه وآله: فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم[٢٥].

وروي عن رسول الله: ((من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين)).

أما المشي إلى زيارة الحسينعليه السلام فقد وردت فيه روايات كثيرة أوردها العلامة الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة باباً خاصاً في استحباب المشي إلى زيارة الحسين وفيه مجموعة من الروايات:

١. من أتى إلى قبر الحسين ماشياً كتب الله له في كل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة[٢٦].
٢. إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسينعليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى يأتيه فإذا أتاه ناجاه الله فقال: عبدي سلني أعطك. أدعني أُجِبك))[٢٧].
٣. ((من أتى قبر الحسينعليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل))[٢٨].
٤. وورد هذا الدعاء للإمام زين العابدين: ((اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، إغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسينعليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستوعدك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى ترويهم على الحوض يوم العطش الأكبر)) [٢٩].

لقد ورد عن النبيصلى الله عليه وآله: (إن أفضل الأعمال أحمزها)[٣٠] أي أشدها وأشقها على نفس الإنسان. وقال الرسولصلى الله عليه وآله: ((من أغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار))[٣١].

وروايات كثيرة تؤكد أن المشي إلى الحسينعليه السلام وتذكر مصائبه أثناء المسير ومصائب أهل بيته ولاسيما مشيهم في هذه الطريق المؤلمة ومعهم النساء والأطفال وهم مربوطون بالأغلال والحديد ينتقلون من ظالم إلى شر ظالم.إن تفاعل الإنسان مع كل ذلك ليعد من جملة المواساة التي أمرنا أن نواسي بها أولياء الله عز وجل بأن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم[٣٢].

وقد كان لعلمائنا الأكابر وفقهائنا حثهم على زيارة الحسينعليه السلام في الأربعين وغيرها مشياً على الأقدام بل إن بعضهم على كبر سنه تشرفوا بأقدامهم للسير إلى الحسينعليه السلام منهم العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني، والفقيه الجليل حسين النوري، والعلامة

السيد المرعشي النجفي والفقيه العارف السيد عبد الأعلى السبزواري، والشهيد المفكر محمد باقر الصدر، فقد كان من أشد الداعمين لهذه المسيرات الراجلة لسيد الشهداء، وكان يقدم المال لزوار الحسين عليه السلام من المشاة وكان طلابه يذهبون مشياً إلى الحسين وكان يشجع على زيارة الأربعين والذهاب إلى الحرم الحسيني المطهر مشياً على الأقدام.

البكاء على الحسين عليه السلام

إن أول من بكى على الحسين عليه السلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند ولادته، وبكاه في الأزمنة والأمكنة المختلفة، وبكاه علي وفاطمة وبكاه ولده (زين العابدين) حتى عُدَّ من البكائين الخمسة، وهذا ورد في صحيحي (البخاري ومسلم). وكان الإمام زين العابدين عاش بعد الحسين عليه السلام (٣٥) سنة يتذكر والده الحسين كلما قدم له الطعام والشراب. وكان الإمام الكاظم يوم حزنه وبكائه يوم العاشر من المحرم، وكان الإمام الصادق في اليوم العاشر يتغير لونه باكياً حزيناً، والإمام الرضا عليه السلام عندما ينشد أمامه دعبل الخزاعي شعراً في رثاء الحسين يبكي ويغمى عليه.

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام: ((من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عيناه يوم تبكي العيون ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)).

((ومما يروى أن علي بن أبي طالب عليه السلام بكى عندما مر بكربلاء عند مسيره إلى صفين حتى بلت الأرض من دموعه)) وعندما قتل الحسين عليه السلام لبست نساء بني هاشم السواد وكنَّ لا يشتكين من برد أو حر وزين العابدين يعمل لهن الطعام)) وأن النبي أول من أقام مجلس عزاء ورثا ولده الحسين عليه السلام قبل استشهاده (ورد عن كتب الفريقين). وروي عن الإمام الصادق عليه السلام ((أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا)) وقال: تجلسون وتتحدثون أذكرونا في مجالسكم. وقال الصادق عليه السلام: كل الجزع والبكاء مكروه، ما خلا الجزع والبكاء لقتل الحسين عليه السلام ومن الجزع اللطم.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى يوم توفي عمه (أبو طالب) وبكى يوم استشهاد (الحمزة) و(جعفر بن أبي طالب) و(زيد بن حارثة) و(عبد الله بن رواحة) وكذلك بكى على أمه (آمنة بنت وهب)، وكانت فاطمة تبكي وتصلي عند قبر عمها الحمزة كل جمعة.

وكان المسلمون يتوافدون الى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويبكون بكاءً موجعاً دون أن يعترضهم أحد من الصحابة، وفي مناسك الحج نجد أعمالاً تتضمن المواساة لأعمال إبراهيم (فالسعي بين الصفا والمروة) تأسي بهاجر، ورمي الجمرات السبع على الشيطان هو تأسي بفعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وقد بكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ولده إبراهيم وقال ((إن العين لتدمع والقلب ليخشع على موتك يا إبراهيم)).

وبكى النبي يعقوب عليه السلام على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن.

ومما يروى عن الشاعر الكميت: «دخلت على الصادق عليه السلام وأنشدته قصيدة على الحسين عليه السلام فبكى وبكى الحاضرون وكان خلفه الفاطميات إذ

خرجت جارية من وراء الستار وعلى يدها طفل رضيع حتى وضعته في حجر الصادقعليه السلام واشتد بكاؤه»، والمقصود بهذا العمل تمثيل طفل الحسين (عبد الله الرضيع) الذي ذبح على صدر الحسين، وهذه إشارة إلى (التشابيه) والتمثيل لمعركة الطف وما جرى على أبناء الرسول وبناته في كربلاء.

إن البكاء هو تعظيم للتضحية والشهادة وهو شجاعة وصبر على الضيم ولم يكن بكاء أتباع أهل البيت هو بكاء الخائفين أو بكاء الضعفاء بل هو بكاء الأقوياء الممتلئين.

يقول المؤرخ الإنجليزي (جيبتون): ((إن مأساة الحسين هي من القصص التي لا أستطيع قراءتها دون أن ينتابني البكاء والحزن)).

متى بدأت زيارة الأربعين

تاريخياً بدأت زيارة الأربعين بعد رجوع السبايا من آل الرسول إلى كربلاء وبناته من الشام بعد أربعين يوماً من استشهاد الحسينعليه السلام والتقوا عند قبر الحسين بالصحابي (جابر بن عبد الله الأنصاري) وهو من صحابة النبيصلى الله عليه وآله وسلم ويعد أول من زار قبر الحسينعليه السلام. يقول عطا مولى جابر: ((كنت مع جابر الأنصاري يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصاً كان طاهراً ثم قال لي: أمعك من الطيب يا عطا؟ قلت: معي (سعد) فجعل منه على رأسه وسائر جسده ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسينعليه السلام وكبر ثلاثاً ثم خر مغشياً عليه ثم فلما أفاق سمعته يقول: السلام عليكم يا آل الله... السلام عليك يا أبا عبد الله فأجهش بالبكاء وقال: يا حسين ثلاثاً ثم قال: ((حبيب لا يجيب حبيبه، وأنّى لك بالجواب وقد شطحت أوداجك على أثباجك، وفرق رأسك وجسدك فأشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا، وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك ما تكون كذلك وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك. فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك المجتبى. ثم جال ببصره حول القبر وقال: ((السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلَّت بفناء الحسين وأناخت برحله، وأشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة... الخ)).

وقد وردت زيارة خاصة في يوم العشرين من صفر تسمى (زيارة الأربعين) عن طريق إمام معصوم وهو الإمام الصادقعليه السلام فرواها (صفوان بن مهران) عنهعليه السلام قال: ((تزور عند ارتفاع النهار بهذه الزيارة فتقول: ((السلام على ولي الله وحبيبه.. إلى آخر الزيارة)).

وممن يؤكد منشأ هذه الزيارة الإمام الحسن العسكريعليه السلام إذ عدَّها من علامات المؤمن فقالعليه السلام: ((علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)).

المشي في زيارة الأربعين

المشي في القرآن واللغة:

المشي لغة الانتقال من مكان إلى مكان، يُقال: ((مشي يمشي مشياً))[٣٣] والإنسان مرتبط بالمشي فهو مرحلة يمر بها الإنسان في بداية طفولته وفي سعيه وعمله في إعمار الأرض وزراعتها وكما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٣٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٥]. وهذا الإعمار والسير والانتقال في الأرض وهذا المشي له آداب وسنن ولارتباطه على نحو كبير في طاعات الإنسان وعبادته وبالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته من خلال زيارتهم والمشي إليهم)) وكذلك المشي والسعي في فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله والسعي بين الصفا والمروة والصعود إلى عرفات ورمي الجمرات في منى ومناسك الحج الأخرى كالطواف حول الكعبة وهذه العبادة فيها سعي ومشي وهرولة، وهي نعمة من نعم الله على الإنسان لذلك يقول تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٦].

والمشي أحياناً يكون مذموماً ومنهياً عنه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣٧] والمشي بغرور وكبرياء وتعالٍ على الإنسان يعود على صاحبه بالغيبة والإثم. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٣٨].

المشي في السنة النبوية:

ورد المشي في صحيحي مسلم والبخاري في وصف النبي صلى الله عليه وآله: ((إذا مشى لم يتلفت)) وكان أشبه بمشية ابنته فاطمة عليها السلام ومشية النساء تختلف عن مشية الرجال فلا بد للمرأة أن تمشي على جانب الطريق والرجال في الوسط كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله ثم إن المرأة إذا جاءت إلى رجل أجنبي للحاجة تكون مشيتها ما أخبر الله تعالى في كتابه في سورة القصص عن بنت الرجل الصالح لما جاءت إلى موسى عليه السلام لأن أباها لا يستطيع أن يأتيه بنفسه قال الله: ﴿**فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء**﴾[٣٩].

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من حبب)).

وقال (إذا مشى تقلع) والتقلع الارتفاع من الأرض بحجلته. وحال المنحط من حبب وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء وأبعدها عن مشية الهرج والمهانة والتماوت فإن الماشي إما أن يتماوت في مشيه وإما أن يمشي قطعاً واحداً كأنه خشبة محمولة وهي مشية مذمومة قبيحة. وأما أن يمشي بانزعاج واضطراب كمشي الجمل الأهوج وهي مشية مذمومة أيضاً. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٤٠].

وقيل: إن مشيته صلى الله عليه وآله بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت وكأن الأرض تطوى له حتى كأن الماشي

معه يجهد نفسه ورسول الله غير مكترث.

قال رسول الله ﷺ: إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم.

فوائد المشي في الأبحاث العلمية

المشي نصف ساعة يومياً يقلل ضغط الدم، وأشار باحثون في جامعة الينوي الأمريكي: إن (٤٠) مليون شخص في أمريكا يعانون من ارتفاع ضغط الدم الشرياني الذي تزيد قراءاته الانقباضي والانبساطي عن (١٤٠/٩٠) ملم زئبقي، ٤٠٥ منهم من الأمريكيين الأفارقة. والمشي يقلل نسبة الدهون فالمشي لمسافة ميل يساعد على حرق (٦٠) سعرة حرارية، وإذا ما زاد الإنسان من سرعته وخطوته أثناء المشي بمعدل ٢٥ ميل خلال ٣٠ دقيقة فإن الجسم سوف يحرق (٢٠٠) سعرة حرارية[٤١].

وقد اكتشف العلماء أن المشي يفيد في تحسين أداء القلب والمحافظة على صحته وخفض الكولسترول وتحسين التمثيل الغذائي. ورياضة المشي تخفف من حدة التوتر النفسي والشعور بالقلق والاضطرابات الناجمة عن ضغوط الحياة اليومية التي لا تنتهي.

والمشي هو الرياضة الوسط بين الرياضات فلا هو بالعنيف، فيجهد الجسد، ويؤدي إلى تضخم العضلات، كما نراه عند الذين يمارسون ألعاب القوى.

أما المشي لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام:

فعن جابر المكفوف عن أبي الصامت قال: سمعت الصادق عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة[٤٢].

وعن بشير الدهان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتى يأتيه فإذا أتاه ناجاه الله فقال: عبدي سلني أعطك، أدعني أجبك[٤٣].

متى نشأت المجالس والمآتم؟

يذكر التاريخ إن أول مأتم أقيم بعد واقعة الطف مباشرة تكوّن من السيدات والفتيات والعلويات وهن زوجات الحسين عليه السلام وأخواته وبناته، وقد عقد هذا المأتم في العراق في ساحة المعركة وتحت بقايا شمس يوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ. إذ كانت القلوب مثقلة بالأحزان والأشجان والصدور ملأى باللوعة والآلام، تعالت فيها صرخات نساء بني هاشم في كل ركن من أركان الطف حيث قتل السبط الشهيد. فواحدة تندب أباها، وأخرى تندب أخاها، وثالثة وليدها فتمت إقامة المأتم بعد تجمع النسوة من بني هاشم (أم كلثوم وزينب وسكينة وبقية النساء الهاشميات)، وقيل إنه استمر ثلاثة أيام بلياليها.

وأقيمت مآتم أخرى وسط الطريق عندما سيقت النساء أسيرات إلى الشام فعلى طول الطريق كانت النساء يندبن قتلاهن وينشرن مظلومية أهل البيت عليهم السلام والمبادئ التي ضحى من أجلها الحسين عليه السلام وأصحابه، يقول زين العابدين عليه السلام: ((وكلما دمعت عين واحد منا قرعوا رأسه بالرمح

تارة، وبالسياط تارة أخرى)).

وأقامت العقيلة زينب عليها السلام وبقية الهاشميات بيتا للنياح على الحسين الشهيد في دمشق فلم تبق هاشمية ولا قرشية إلا ولبست السواد على الحسين عليه السلام.

وانتقلت المآتم الحسينية إلى المدينة المنورة (وكانت أول باكية على الحسين عليه السلام أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامت أول مأتم للحسين في المدينة المنورة وكان الموالون يأتون ويعزون تارة بالشعر المرثي وتارة بالنثر.

وفي كربلاء أول مأتم أقيم للحسين عليه السلام لزوجته الرباب بعد رجوع رأس الحسين من الشام إلى العراق ويسمى (مرد الرؤوس) وكان رأس الحسين عليه السلام رفع على رمح طويل وأخذ مع قافلة السبايا إلى يزيد، وبعد أربعين يوماً من استشهاد الحسين عليه السلام عاد زين العابدين يزور قبر أبيه ووجد أمامه (جابر بن عبد الله الانصاري) ومعه عدد من بني هاشم جاؤوا لزيارة الحسين ومما قاله الإمام السجاد لجابر الأنصاري: ها هنا والله قتل رجالنا وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا.

المنبر الحسيني إذاعة متجولة

لقد أسهم المنبر الحسيني في اخراج معركة الطف في كربلاء ونشرها في جميع مناطق العالم وساعدت في ذلك الفضائيات المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية وكذلك بروز خطباء لامعين وأكاديميين أسهموا في إحياء ثورة الحسين وآفاقها الإنسانية وكان للمنبر الهادف دور وطني في إيقاظ الوعي وتعميق ثقافة المقاومة ومفاهيم الحرية والرفض للظلم والاستبداد وكشف الطغيان والانهزامية عند حكام العرب والمسلمين وأسهم المنبر الحسيني في تربية الأمة وربطها بمفاهيم الإسلام ومدرسة أهل البيت وهو إذاعة متجولة تنشر علوم أهل البيت في المدن والضواحي والأرياف.

تطوير المنبر الحسيني ومجالس العزاء والمآتم

أصبحت مجالس العزاء والمنبر الحسيني أفضل وسيلة لنشر الإسلام ومبادئ الإمام الحسين عليه السلام وعلوم أهل البيت فلا بد من اختيار الخطيب المتنور الذي يجعل عقولنا تفكر ويتحدث على أساس العلم والفكر فليس المطلوب في المنابر الحسينية إثارة الناس والبكاء والنياحة حول مأساة الحسين وأهل بيته وما جرى لهم من قتل وتعذيب ومعاناة في معركة كربلاء، لأن المشكلة عند كثير من الناس أنهم يريدون الخطيب الذي يبكيهم بصوته الجميل ويخاطب عواطفهم فقط.

ورسالة المنبر رسالة صادقة بعيداً من الروايات الخرافية والأوهام والمبالغات، لا بد للخطيب أن يكون قارئاً ومثقفاً يبعث رسائل ولا سيما للشباب منظماً إلى عمق الفكر الإسلامي الذي وجدت عاشوراء من أجل تركيز أهداف الحسين وحركته الإصلاحية وحقيقة القضية الحسينية.

الأئمة كانوا يقولون ((أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا، قيل له: كيف هو أحياء أمركم؟ قال: أن يعلم الناس علومنا ويحدثهم بمحاسن كلامنا، فإن

الناس إذا عرفوا محاسن كلامنا أحبونا واتبعونا، وليس إحياء الأمر هو التطبير أو المشي على النار... وهـذا يعني نحن حولنا نهضة الحسين إلى تقاليد متخلفة))[٤٤].

ينبغي أن تدفعنا شهادة الحسين عليه السلام إلى الانتصار والفتح دائـماً وهزيمة الأعـداء لا أن تفكر بالموت وأن شهادة الحسين هي حالة رسالية وليست حالة مأساوية.

إن رسالة كربلاء هي: والله لا أعطيكم بيدي أعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)).

فالحزن والبكاء يمثل حالة تفاعل مع واقعة الطف. المأساوية التي صنعها أعـداء الله، ليس المقصود الحزن من أجل الحزن، والبكاء من أجل البكاء.

الخطاب النبوي لا بد أن يشجع الشباب ويخاطب عقولهم وأن يلجؤوا إلى تجسيد معركة الطف وتمثيل الأحـداث والمواقف العظيمة التي صنعتها الثورة الحسينية وأبطالها الحقيقيون.

المنبر الحسيني ينبغي أن يقدم الفكر مع العاطفة، أن يقدم الحسين قوياً قائداً مفكراً، لا ضعيفاً (أسقوني شربة ماء).

الحسين صانع تاريخ وقد أحيا الإسلام من جديد ((يقول الفيلسوف والمـؤرخ البريطاني (ثوماس كارليل ١٨٨١م) ((هناك أهمية للرجل البطل الفرد في معركة التغيير الحضاري فـ(هيجل، وتوينبي وبرغسون) كان يملك قدرات استثنائية من الذكاء والإبـداع والوعي، فهو روح الأمة وخلاصها أو الأداة التي يعبر بها التاريخ عن نفسه)) فالأبطال في التاريخ هم طليعة كل تغيير تاريخي ومن دونهم لا يمكن للمجتمع أن يحقق أهدافه، لأن البطل هو الذي يفجر القوى الكامنة في المجتمع، البطل ما زال محبوباً من المجتمع.. من المسيح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والحسين عليهما السلام نعشقهم جميعاً ونجلهم، هذه البطولة صنعت لنا التاريخ والحضارة والقيم الإنسانية إنهم يحركون التاريخ، وليست محصورة في السياسي، إنما الشاعر والكاتب، والفنان والعالم، فالبطل الفرد هو الذي يقود الأمة في مرحلة الأزمات مثل (غاندي- مانديلا) هذه رسالة المنبر الحقيقية الهادفة.

عن موسى بن عمر عن حسان البصري عن معاوية بن وهب قال: دخلت على الصادق عليه السلام بعد استئذانه فسمعته يناجي ربه ((اللهم يا من خصنا بالكرامة ووعدنا بالشفاعة... الخ، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك وإجابة منهم لأمـرنـا))[٤٥]، و(المشاية) يضعون أيديهم على الرؤوس حزناً وتوجعاً لما نزل بسيد شباب أهل الجنة من مصائب وأهـوال، وأن هذه الصدور التي يلطم عليها تأسفاً وألماً وجزعاً إنما هي مواساة لصدر الحسين الذي داسته الخيول.

السياسة والمواكب الحسينية

كانت وقفة الإمام الحسين ونهضته بوجه الظلم الأموي ومعارضة حكم الطغيان في قلب السياسة، لذلك قدم الحسين عليه السلام برنامجه الثوري والسياسي

بقوله: ((ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)) كان هذا جوهر ثورته وفي السيرة الحسينية أن أول ما صدر منه قوله: ((أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غَيَّر)) فثورة الحسين هي في قلب الواقع الإسلامي وفي قلب السياسة عندما رأى الحسين عليه السلام الانهيار الكامل الذي فعله بنو أمية في الإسلام من بدع وضلالات وانهيار أخلاقي وسياسي و((اتخذوا مال الله دولاً وجعلوا عباد الله خولًا)) وتقاسموا الأموال والمناصب، واستعبدوا الناس.

فالمواكب والمجالس الحسينية هي مجالس وعي ومدارس سياسية وأخلاقية تنشر الثقافة الإنسانية والفكر الإسلامي وتعري الواقع السياسي وتؤشر على الانحراف والفساد المالي والإداري. هذا هو طلب القضية الحسينية في الإصلاح السياسي والإداري والعدالة الاجتماعية، أما البكاء والحزن والمشاركة العاطفية فهذه طبيعية وغريزة فطرية يقتضيها البعد الإنساني وجانب المأساة في الحدث الحسيني.

نحن أحياناً نبكي لمشاهدة فلم روائي في السينما أو التلفزيون أو عندما نقرأ قصة مأساوية تبكي كثيراً. وكثيراً ما بكينا عندما نشاهد الأفلام الهندية ولا سيما فلم (أم الهند) وغيرها من قصص المآسي في الهند، فكيف لا نبكي على مأساة الحسين المرتبطة بديننا ونبينا وعقيدتنا. وكثيراً ما كنا نبكي وننسجم ونتماهى مع قصص مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابيه (العبرات) و(النظرات) ومعظمها قصص مأساوية واجتماعية فالحزن والبكاء غريزة إنسانية.

استثمار الشعائر الحسينية

الشعائر كثيرة ومنها المستحدثة فإقامة العزاء والبكاء وحركة المنبر الحسيني والمؤتمرات الثقافية والفكرية ومهرجانات الشعر، والمحاضرات الإسلامية وإقامة المعارض الفنية التشكيلية. وكذلك النشاطات المسرحية لتصوير الحادثة ومعركة كربلاء واختيار الشخصيات التي خلدت معركة الطف وإظهار أبعادها الإنسانية والتربوية والسياسية، وحتى النشاطات الرياضية للشباب، كل هذا نراه يبرز بوضوح في شهر محرم وصفر ولكن للأسف هناك بعض الممارسات السلبية التي طرأت على الشعائر الحسينية وليس لها أساس في إحياء ذكرى شهداء الطف وربما تسيء إلى شخص الحسين عليه السلام سبط النبي ونجل علي وفاطمة.. خير ما خلق الله من البشر.

فظهور البدع يسيء إلى هذه الشعائر الإسلامية التي تعيد لنا ذكرى مواقف أبناء الرسول وبناته في كربلاء.. لأن بعض الممارسات مضرة بالنفس وتؤدي إلى هتك المذهب والإساءة إلى الإسلام وقد حرمها

بعض الفقهاء.. كالتطبير والإدماء، والتطيين، والمشي على الجمر والنار، وتمثيل كلاب رقية وكلاب الحسين والعباس، والرقص الحسيني الهستيري، وكذلك الضرب بالسلاسل والسكاكين!! وحلاقة الرؤوس للشباب وتكتب أو ترسم صور الحسين وكلمات يرسمها الحلاق مثل (آه يا حسين) ولبس البنات أظافر تكتب عليها (آه يا زينب) وهذا ما يقول به السيد الخوئي: الضرر بالنفس وهتك المذهب ((أي الحرمة مع لزوم الهتك)) أما البكاء واللطم الذي يعبر عن الحزن والجزع وردة فعل طبيعية للمفجوع فهنا جائز!

إن زيارة الحسين عليه السلام ليست حضوراً جسدياً فقط وتقاليد موروثة من الآباء والأجداد دون الانفتاح على معرفة الشخصية الحسينية ومكانتها الدينية والتاريخية في التاريخ الإسلامي وأن نستوحي حياته ومعاناته كلها وسيرته وجهاده.

وأن تكون زيارتنا للحسين عليه السلام ونستحضر سيرته ومواقفه ونتمناها في حياتنا وحركتنا الاجتماعية، وهكذا عندما نزور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزور الإمام علي عليه السلام وكذلك السيدة زينب وإعادة مواقفها وصبرها وإيمانها وشجاعتها، من أجل أن تتعلم نساؤنا كيف يكنَّ قويات أمام الظلم والاستبداد. لا أن نستحضر صورة زينب المقهورة المظلومة الضعيفة الباكية المنهارة، وكذلك بقية الصحابة والشهداء.

وعدم الاعتماد على بعض الروايات الضعيفة والخرافية وإن كانت مفاهيمها دخلت الحس الشعبي.

وينبغي تهذيب السيرة الحسينية والشعائر الحسينية التي يحركها الوجدان الشيعي كما يجب تهذيب السيرة النبوية التي كتبت وفيها الكثير من الأخطاء وحتى الإساءة! وتقديم سيرة حسينية واقعية تدخل وجداننا الشعبي وإحساسنا الديني والثقافي.

اما المنبر الحسيني فقد برز فيه خطباء علماء وفقهاء ومثقفون وأكاديميون وقد أنتج المنبر الحسيني ونحن عاصرنا بعضهم (مثل الشيخ الدكتور احمد الوائلي والخطيب الشيخ محمد النويني والشيخ جعفر الابراهيمي والشيخ الدكتور فيصل الكاظمي والسيد عبد الرحيم الشوكي، وقبل هؤلاء الشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ محمد علي جسام، والسيد جواد شبر، والسيد حسن القبانجي.

فهؤلاء أصحاب المنبر الثقافي الحسيني الإسلامي الذي يعد مدرسة منفتحة على علم أهل البيت وتراثهم وبعيد عن المبالغات والتطرف والخرافة! ويقدم هذا المنبر الإسلام الواقعي المتطور الذي يعرض القضية الحسينية بكل اعتدال وتوازن، والشعائر الحسينية الصحيحة هي الخط الدفاعي الأول عن هذه العقيدة وكل من يحارب هذا الإحياء للشعائر الأصيلة وعلوم آل البيت يضرب بالصميم المستقبل القائم على أسس ومبادئ الثورة الحسينية وهذه الردات والقصائد الحسينية كلها سياسية وتضرب صميم المنظومة السياسية المنحرفة حتى هذا اليوم لأن كل الأنظمة المنحرفة مشكلتهم مع الحسين لأن الشعائر ترعب هؤلاء الحكام وتقض مضاجعهم وتهز عروشهم لأن الحسين هو الذي قتل يزيداً!! بمعنى أسقط حكمه.

سرّ خلود الثورة الحسينية

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لها عمق في الجانب الإنساني العاطفي، ولذلك لها امتدادات عقلية وسياسية، وعمق رسالي، فهي امتداد لحركة الأنبياء ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك امتداد لحكومة علي بن أبي طالب عليه السلام.

كذلك الذين شاركوا في معركة كربلاء كل الفئات العمرية من المجتمع (الرجال والنساء والأطفال والشباب والمراهقين) وكذلك الشيوخ الكبار كحبيب بن مظاهر الأسدي وزهير بن القين، ومسلم بن عوسجة وكانوا في الثمانين والتسعين من العمر وكانوا على درجة من الوعي والإيمان الثابت والعقيدة الصحيحة، لذلك نالوا شرف الشهادة لأنهم رجال صدقوا؟!

ومن جانب آخر نرى صوراً مأساوية جرت على أبناء الحسين وأصحابه ورجاله ورأينا طبيعة وحشية عند المعسكر المقابل معسكر يزيد.. الذي مثل بالجثث الطواهر وقطع الرؤوس وحملت على أسنة الرماح وقد ديس صدر الحسين عليه السلام بالخيول وكسرت أضلاعه وذبح الإمام من الوريد إلى الوريد، وكذلك قتل أبنه الرضيع بسهم مسموم وهو في حضن أبيه.

أما السبي فهو بدعة أموية لأن في الإسلام لا يوجد سبايا مسلمين ومسلمات وأنما السبي يشمل الكافرين ومن هن السبايا؟ بنات الرسول وأبناؤه؟ بنات نبي هؤلاء الأوباش المتوحشين !!

فالثورة الحسينية كانت أوسع وأشمل من كل الأحداث التي مرت بتاريخ المسلمين وأهل البيت.

وحملت النهضة الحسينية الخط الرسالي المحمدي وهي امتداد له، وقد مزجت الفكر بالعاطفة، والسياسة بالأخلاق والبعد الروحي والمادي ورفع المستوى المعيشي للناس. لذلك علينا أن نطور أساليبنا في إحياء استشهاد الحسين عليه السلام وجميع وسائل التعبير والتأثير (فإن الحسين نقطة قوتنا) لأن ما قام به الحسين عليه السلام من فعل خالد بقي حياً في ضمير العالم وفي وجداننا الشيعي والإنساني! لا بد أن يتزاوج العقل بالعاطفة والإيمان والحس لكي تبقى قضية الحسين خالدة.

ولا بد أن تبقى العاطفة أصيلة في المسألة الحسينية وعلينا أن نحسن أساليب إثارة العاطفة، نتطور مع الزمن، ونستحدث أساليب جديدة لأن العصر يتطور بأفكاره كما يتطور بآلته والعقل وحده غير كاف لتخليد المبادئ.

الثورة الحسينية لا يمكن سرقتها ولا يمكن ركوبها.. حتى الثورات الأخرى التي حدثت في بلاد غير المسلمين استضاءت بثورة الحسين للدفاع عن حقوق الفقراء والمساكين وزعماء هذه الثورات لا خيار لهم إلا الارتباط بثورة الحسين ومن يرفع لواء التحرر في كل مكان ومواجهة الاستكبار والاستعمار لا خيار له إلا أن يلبس أنصع ثوب وهو ثوب مبادئ ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومن هنا بدأت ثورة الحسين تتجه في مسارات عديدة لتعليم مانديلا وغاندي وجيفارا وهوشي منه ومفكري العالم..ولذلك انصهر هؤلاء وانسجموا مع ثورة الحسين ولا توجد حركة أو نهضة ينسجم معها كل البشر وكل الثوار إلا الثورة الحسينية ولذلك خلدت

وستستمر حتى ظهور حفيده المهدي عليه السلام المخلص الوحيد لمعاناة البشرية.

عولمة زيارة الأربعين

أوردت الاحصائيات في عام ٢٠١٦ أن عدد الزوار الذين وصلوا كربلاء بلغ عدداً قياساً هو (٢٥) مليون زائر، منهم (١٧,٥) مليون زائر محلي، و(٧,٥) مليون زائر أجنبي فيما بلغ عدد المواكب المشاركة (٧٠٣٧) موكباً منها (٧٠٦٠) موكباً محلياً و(٧٧) موكباً أجنبياً، أما عدد الدول المشاركة فهي (٨٠) دولة أجنبية. وهكذا تتضح للجميع عظمة هذه الزيارة والفرص الكبيرة المتاحة وضرورة التفكير والتخطيط للاستفادة منها.

ويمكن للزيارة الأربعينية أن تشكل أرضية مناسبة للوحدة وتنمية الهوية الوطنية والإسلامية، وجعلها قضية التزام وطني وديني وتاريخي القيم الحضارية والتقاليد الاجتماعية واللغة والعقيدة والإيمان وعدها واجباً وطنياً ودينياً يقع على مسؤولية الحكومة والجماعات والأفراد والمؤسسات.

ويمكن استثمار الزيارة لتحقيق الانتصار ومواجهة المخططات التي تحيك التآمر ضد العراق وتمزيق نسيجه الاجتماعي، فالزيارة تسهم في تلاحم المجتمع ويمكن أن تصبح يومية وليس في محرم وصفر!! وما نراه من عمل تطوعي عند بعض العراقيين وتقديم الخدمات يمكن أن يتحول إلى عمل يومي وسلوك ظاهر يحد من الصراعات الطائفية والقومية والعنصرية.

وتعد زيارة الأربعين أكبر زيارة في العالم فهي من أكبر الممارسات التي تؤكد الولاء للمسيرة الحسينية مبدأً ثابتاً في النفوس وعقيدة راسخة في الأذهان.

للإعلام دور كبير في نشر الفكر الحسيني ومواجهة الفكر المتطرف الذي يسعى لقمع الفكر الحسيني ولا بد من استثمار موسم العزاء العاشورائي والسعي لتحقيق أهداف الثورة الحسينية لأن الله هكذا أراد للحسين أن يكون مجدداً للإسلام ومتمما لدين جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن هناك صراع مستمر بين الخير والشر بين الطغاة وأعوانهم وبين المخلصين للإسلام والإنسانية وكان الحسين رائداً في طريق الإنسانية ومواجهة الضلال والعبودية.

ينبغي التخطيط والتفكير العملي والعلمي لعولمة الفكر الحسيني وعالمية الإسلام وإيصاله إلى كل زاوية في العالم طالما أن هذا الفكر مع الحق والخير والجمال الإنساني.

إن القضية الحسينية نقطة قوتنا وأضخم حدث في تاريخنا وأقوى حركة ثورية في التاريخ الإسلامي، لذلك يجب أن تعولم وتتسع وتتمدد والاستفادة من اجواء الحرية الموجودة في أكثر بلدان العالم واستثمار الفرص المناسبة لتحقيق عولمة عاشوراء ونشر قيمها في ربوع العالم، وذلك بالاستفادة من وسائل الإعلام المتنوعة الحديثة وتكنولوجيا المعلومات وإيصال القضية الحسينية والفكر الحسيني لأنها قضية تهم كل العالم ونحن نعيش في عالم لا يقوم على العدل والمساواة ويعاني من سطوة الأقلية على الأكثرية

ويعاني الشعب من سطوة الجلادين والطغاة.

لذلك لا يمكن أن يختلف اثنان من أن رمز الحسين عليه السلام هو الذي يوحد المجتمع وطوائفه وأديانه فهو يوحد السُّنَّة على طريق الولاء والانتماء إلى جد الحسين صلى الله عليه وآله وسلم ويوحد الإنسانية جمعاء وبقية الأديان عن طريق الانتماء الإنساني لأهداف مشتركة وهي كره الظلم والطغيان ونصرة المظلوم.

ولذلك يمكن لهذه الزيارة وغيرها من المناسبات تحويل العالم وتشكيل أرضية مناسبة يتفق عليها الجميع والاتفاق على مشترك (ديني، تاريخي، إنساني) يرسخ مفهوم السلام والتعايش السلمي.

لقد ظلت حادثة استشهاد الحسين شعلة إنسانية لا تنطفئ مهما حاول أعداؤها إطفائها فلم يفلحوا في ذلك ولعمقها الإنساني يمكن تأسيس هوية إنسانية جمعية تستمد عناصر خلودها وقوتها من كربلاء. وقد كونت زيارة الأربعين للإمام الحسين لجميع المكونات الشعب العراقي نوعاً من التوافق المشترك والقدوة الوطنية والاستقامة والنزاهة، ونشاهد انطلاقها من جميع محافظات العراق وقراه ومدنه نحو كربلاء حيث ضريح سيد الشهداء عليه السلام حفيد نبي الإسلام عليه السلام، فهو يوحد المذهبية عن طريق الولاء والانتماء إلى جد الحسين صلى الله عليه وآله وسلم ويوحد الأديان عن طريق الانتماء الإنساني لجذر مشترك.

ثوار العالم ومفكروه والحسين عليه السلام

هذه الثورة استفاد منها ثوار العالم ومفكروه ومصلحوه فمنها تعلم مانديلا الأفريقي وجيفارا في أمريكا الشمالية وهوشي منه الفيتنامي، وغاندي في الهند وديغول في فرنسا ولنكولن الرئيس الأمريكي ومحرر العبيد، وماوتسيتونغ الصيني الذي قال للمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد عندما استقبلها ((عندكم الدروس وجئتم تأخذون الدروس منا، إنها ثورة الحسين))[٤٦]، والزعيم الهندي نهرو استلهم من مبادئ الحسين للدفاع عن حقوق المحرومين الهنود التي سلبت حقوقهم من عشاق الكراسي وطلاب السلطة.

أما المصلح (مارتن لوثر) الزعيم الأمريكي من أصول أفريقية الحاصل على جائزة نوبل للسلام الذي دعا شعبه للإصلاح والتأسي بالإصلاح الديني الذي دعا اليه الزعيم العربي الحسين بن علي عليه السلام.

ويقول المفكر الارجنتيني (ماركوس انجيلا) إن الحسين أحد أركان الحركة الثورية في العالم لأنه ضرب أروع الأمثلة في التجرد من الأنا والعمل لإهانة رجال السلطة المارقين.

ويقول الزعيم الألماني (هتلر): عليكم أيها الجنود الأبطال الاقتداء بتلك النخبة المثابرة التي التفت حول زعيمها الحسين الذي تمكن من أن يهز مضاجع أركان دولة قوية ذهبت فيما بعد الى الهاوية.

ويقول الرئيس هوار؛ بومدين الجزائري: (يفخر العرب بهكذا رموز فطاحل خلدهم التاريخ وتعلقت أسماؤهم بقلوب أحرار العالم الذين اقتبسوا من المبادئ السامية التي نادى بها الحسين الخالد)

أما الرئيس التركي (اتاتورك) فيقول: إن الحسين قائد فذ علمنا دروساً راقية في النضال والحرية

والدفاع عن شرف النفس فحملناها بعزيمة ثابتة وحققنا النصر على أعدائها.

ويقول المفكر النمساوي (جون فير) إن مدرسة الحسين التربوية هي مدرسة البشر التاريخية لأنها جامعة لكل المبادئ الهادفة التي تدعو إلى قيام مجتمع إنساني متطور.

أما المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك) فيقول: ((إن حركة الحسين في التاريخ باتت تكشف كل سلطة حاكمة جائرة واستمرت روح هذه الحركة إلى يومنا هذا)).

وإن صحيفة (الانتدبندت) البريطانية تصف زيارة الأربعين بأنها أكبر وأرقى تجمهر ديني في العالم وهي رسالة سلام وتحدٍ للإرهاب. إنه التجمع الديني الأبرز في العالم الذي يحمل مضامين روحية وقيمية، وأنه أعظم تجمع ديني في العالم يحدث الآن في العراق، وأن هذا الحدث التاريخي لا صدى له في الغرب غير الصمت العالمي حيث يفوق عدد الزائرين أكثر من خمس مرات عدد الحجاج إلى بيت الله الحرام في مكة ورغم التحديات فإن القائمين عليها من العراق وخارجه يصرون على إحيائها ضد القتل والإرهاب في العالم أجمع إذ يتم توزيع أكثر من (٢٠٠) مليون وجبة طعام في العالم يتبرع فيها الفقراء والخيرون وأكبر عدد من المتطوعين في العالم، ويدعو كاتب المقال لتسجيل هذا التجمع في كتاب (غينيس) للأرقام القياسية بأنه أكبر تجمع بشري في العالم.

وتعد أحد المنابع الرئيسة للقيم في العالم وتقدم فيها أكبر مائدة طعام في العالم، وأن وسائل الإعلام تغض الطرف عن هذا الحدث، وهي أعظم ملحمة لها أبعادها ومضامينها الإنسانية خلاف ما تروج له التنظيمات الإرهابية من ادعاء القيم وهي تمارس أبشع أنواع القتل والإرهاب.

فوائد زيارة الأربعين

١. فوائد اجتماعية: الشعور بالأخوة الإيمانية والولائية.
٢. الشعور بالانتماء إلى الحسين عليه السلام.
٣. التكافل الاجتماعي والتعاون.
٤. الشعور بالمساواة عند السائرين.
٥. الظهور صفاً واحداً أمام أعداء أهل البيت عليهم السلام.
٦. تعارف الناس وتعاونهم.
٧. فوائد اقتصادية: فرص عمل، وزيارة رؤوس أموال أجنبية، وتنوع السلع التجارية، وسياحة دينية.
٨. فوائد شخصية: تعلم الانضباط والسير على نحو منتظم، والعلاج برياضة المشي، وقدرة الزائر على التحمل والصبر، وتفريغ الهموم والغموم.
٩. فوائد دينية وعقائدية: تجسيد مبدأ الولاية للإمام، والشهادة للحسين بالعصمة، وتأكيد الهوية الإسلامية.
١٠. فوائد سياسية: مبايعة الحسين، مهرجان سنوي كالحج ترعاه السماء.

فوائد تربوية ونفسية من زيارة المرقد الحسيني

تحولت المراقد المقدسة ومرقد الإمام الحسين عليه السلام خاصة الى مصدر إشعاع وملجأ وملاذ آمن للفقراء والمساكين والمذنبين والتائبين وأصبح واحة المتعبين ولمن آمن بالله ووالى أهل البيت عليهم السلام، ومكاناً لإنعاش الروح وشفاء للنفوس المعذبة والحزينة ومحراباً روحياً لتنشيط القلب المرهق. وباحة للتخفيف من ضغوط الحياة الدنيا وردهة للعناية المركزة من امراض النفس والقلب والنفاق والأنا.. ونهراً كبيراً لغسل الأدران ووساوس الشياطين ومتعلقات الدنيا. وهذا المحراب الحسيني الشريف عيادة لعلاج كل الأمراض النفسية وتفكيك العقد النفسية وطرد الأفكار الظلامية والإلحادية المتفلسفة. مكاناً لتعلم الزهد والتواضع والقيم الثورية والتضحية والفداء لأننا نعيش مع نموذج رباني متدفق ومعطاء.. يمتاز بالجمال والإبداع الأخلاقي.. جمال النفس الإنسانية المتطلعة إلى الصفاء والنقاء والتكامل.. التماهي مع هذا الرمز العظيم الذي يحمل تراث الأنبياء وخلاصة الفكر الإلهي.. ويولد مع كل يوم جديد ويضحي من جديد.

في هذه الزيارة يتحرر الإنسان كاملاً من الإنانية والنرجسية وحب الذات والغرور وحالة فريدة من نكران الذات والتفاعل الإيجابي والارتقاء الإنساني إلى مراتب روحية عالية لا تجدها في أماكن أخرى مع كثرة الناس وازدحام البشر من كل الجنسيات والجو الحار وصغر مدينة كربلاء.. وهؤلاء الناس من السواد الأعظم من الناس البسطاء.. بإيجابياتهم وسلبياتهم.. لكنهم تراهم منتظمين وملتزمين الأخلاق الكريمة ومنضبطين في السير ومتسامحون.. ولا تحدث في هذه المسيرة الإلهية الحسينية أية مشاكل ومشاجرات واعتداءات، الجميع متوجه لأداء مناسك الزيارة وطلب الغفران من الله ومواساة الحسين عليه السلام ومشاركة زينب في أحزانها ومصابها.

وهم يندفعون بتلقائية واندفاع ذاتي دون مساعدة من الدولة أو تحريض من جهة معينة ولا تشجيع من سلطة أو جهة خارجية ويفضلون المشي على الأقدام لزيادة الأجر والثواب ومواساة السبايا من النساء والأطفال اليتامى أبناء الشهداء الذي رووا بدمائهم هذه الملحمة الإنسانية الخالدة، وأيضاً تعطي رسالة أخرى لهؤلاء (المشاية) أنهم جاؤوا لنصرة الحسين عليه السلام.. ويحصل عند الزائرين نوع من التطهير الذاتي والأشراق الروحي والانشداد إلى منهج الإمام الحسين والقضية التي قدم نفسه وضحى من اجلها ليكون قريباً من نبي الإسلام ومودته وحبه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ومن هم قرباك. قال: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ومن الفوائد التربوية لزيارة الأربعين أنها تنمي الاستعداد للتضحية والجهاد واستلهام التاريخ الجهادي لمعارك الإسلام وثورة الحسين عليه السلام.. وزيارة الأربعين هي تدريب عملي على الجهاد وتحمل الصعاب والمشاق والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله والتربية على العمل التطوعي والاستهانة بالموت في سبيل الله.

إن أيام زيارة الأربعين بمنزلة (دورة تربوية)

يدخلها جميع الزائرين يتعلمون فيها دروساً حسينية عظيمة حفلت بها معركة الطف إذ تعزز مكانة الحسين في نفوس المؤمنين بوصفه سيد شباب أهل الجنة، والتشجيع على السلوك السوي والأخلاق الفاضلة.. ويتعلم منها الأطفال والشباب الأخلاق والأعمال الحسنة وتتيح هذه الزيارة المليونية لهؤلاء الناشئة أن يتعلموا الكرم والسخاء والإيثار والتعارف والوفاء والاحترام وكذلك يتعلم الطفل والشاب فن التخاطب والحوار والثقة بالنفس لما يشاهده في طريق الزائرين الأربعين.

مشاهد من طريق الزائرين في زيارة الأربعين

وأنت تستمع إلى مشاعر المعزين من عرب وأجانب وكيف يتحدثون عن حبهم لأهل البيت وطيبة الشعب العراقي وكرمهم وسخائهم وأخلاقهم النبيلة ومضافاتهم على طول الطريق من الكويت إلى كربلاء ومن بغداد إلى كربلاء.. وخدمة راقية من طعام وشراب وسكن ودواء وخدمات أخرى وأجواء روحانية (سفرة روحية وسياحية مجانية) لفقراء العالم، أي قوة روحية يحركها الحسين عليه السلام وأي نشاط وطاقات خلاقة ويبذلها عشاق الحسين في خدمة الزائرين..

هذا الحراك الاجتماعي.. والكرم والخدمة التي يقدمها العراقيون أدهش العالم وكل زائر إلى العراق، كيف يستقبلون المشتاقين إلى زيارة العتبات المقدسة والناس تنطلع إلى شفاعة أهل البيت وشهداء كربلاء كيف لا والرسول يقول: ((أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترة أهل بيتي ما إن تمسكتم بهم لن تظلوا بعدي أبداً)) وقال أيضاً:((حسين مني وأنا من حسين)) ((أحب الله من أحب حسيناً)).

العدد (٤٠) في القرآن والسنة النبوية

تكرر ذكر أربعين في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٤٧] وقال ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٤٨] و﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٤٩].

أما الأحاديث النبوية فكثيرة اخترنا منها ما له علاقة بالبكاء على الميت:

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً)).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: ((إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً)).

وفي البداية والنهاية ج١١/٥٨٠ لابن كثير (٧٧٤هـ): عندما هدم المتوكل العباسي قبر الحسين ((إن الماء لما أجري على قبر الحسين ليمحي أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً.. فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين، فبكى وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك!! وأنشد يقول: أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر.

والأربعون عادة مصرية قديمة منذ عهد الفراعنة

ما زال المصريون يزاولونها ويذهبون إلى قبور موتاهم ولأحياء ذكراهم.

وفي المسيحية هناك (قداس الأربعين) تصلي على أرواح موتاهم بعد مرور أربعين يوماً على وفاتهم.

تقديم الإمام الحسين إلى العالم

١. نقدمه ثائراً ومصلحاً كبيراً ضد التخلف والظلم والجور ومتطلعاً إلى حكم عادل.
٢. نقدمه نصيراً للفقراء والمحرمين وداعياً إلى حقوق الإنسان وداعماً إلى حريته.
٣. نقدمه قوياً صلباً صابراً متحدياً للطغيان لا ضعيفاً يستجدي العطف والرحمة وشربة ماء من أعدائه.
٤. خطابنا المنبري والإعلامي أحيانا يقدم الحسين بأنه حارب يزيد لأن يزيد يشرب الخمر اللاعب مع القرود.. هذا الخطاب في نظر الآخر ولا سيما الغرب يرى أن يزيد شخصية لطيفة ورومانسية وذو مزاج مرهف وحساس لأنه يشرب الخمر ويلاعب الحيوانات الأليفة وهم يحترمون الإنسان الذي يربي الحيوانات ويتكيف معها. وإنما نقدم الحسين عليه السلام راعياً لحقوق الانسان ومطالباً للحرية والعدالة.
٥. نقدمه قائداً لمسيرة الأمة وراعياً لمصالحها ومكملاً لرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
٦. نقدمه قائداً عسكرياً ثابتاً على المبادئ والعقيدة ضد أوباش وجهلة.
٧. نقدم الإسلام بهذه الخارطة بدايته (مكة – المدينة – كربلاء) فلا يكتمل الإسلام إلا بعطاء كربلاء

فإذا استثنينا كربلاء يقدم الإسلام مشوهاً ومسيئاً إلى رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إما أن يكون إسلاماً خانعاً ذليلاً (إسلام الملوك والسلاطين وطاعة ولي الأمر حتى وإن كان عميلاً أو فاجراً أو جاهلاً) وأما (الإسلام فوبيا (إسلام الإرهاب والتكفير أو القاعدة وداعش وأخواتها) أما إذا قدمنا مدرسة الحسين ومدرسة أهل البيت يكتمل الإسلام الحقيقي المعتدل والمتطور والمنفتح على الآخر إسلام الكرامة والحرية وكما قال الرسول ((حسين مني وأنا من حسين)).

قصة الفنان المصري (كرم مطاوع) وسهير المرشدي الذين جاؤوا إلى كربلاء ورافقهم الفنان يوسف العاني من أجل اخراج فلم حول قصة الحسين عليه السلام وزار كل الأماكن وتحمس لعمل هذا الفلم إلا أنه طلب قارئاً جيداً لمقتل الحسين وجلسوا جميعاً يستمعون وبكى بكاءً عميقاً ثم قال ليوسف العاني: (لم يبقِ لي هذا القارئ شيئاً أقوله جديداً يزاد على هذه المأساة)، وقفل راجعاً إلى القاهرة؟

(تمثيل قصة الحسين سينمائياً ومسرحياً يعطي طابعاً إنسانياً عالمياً وممكن أن تدخل الوجدان الإنساني بهذه الوسائل وذلك يؤمن لعاشوراء ان تنفتح على الإنسان المعاصر لأن الإنسان يتربى من خلال وسائل التواصل).

قارئ المقتل (عبد الزهرة الكعبي) قتل أيام الطاغية لأن صوته مؤثر في قراءته للمقتل.

الشيخ علي الساعدي سجن (٤٠) يوماً لأن صوته يشبه صوت الشيخ الوائلي.

اقام راديو (LBC) في لندن وتحدث ممثل الشرطة البريطانية عن المسيرة الحسينية المرخصة لـ(١٠) آلاف شخص وعندما اخترقت شارع اكسفورد ستريت تضاعفت إلى خمسة أضعاف وسجلت الكامرات الرقمية على مشارف رئاسة الوزراء عدداً يفوق (٥٠) ألفاً، وكانت المسيرة منضبطة ولم تسجل عليها أي مخالفة سوى شكوى واحدة من دولة عربية أبدت انزعاجها وقلنا لها: لا داعي لهذا الانزعاج (الانكليز يقولون لهذه الدولة العربية المسلمة). رابطة متاجر اكسفودر يقولون: لم نتأثر من المسيرة وأسعدنا مرور (٥٠) ألف شخص خلال ساعة واحدة ومعدل المبيعات كان أعلى!! أما البلدية: لم تكلف عاملاً واحداً بتنظيف الشارع بعد المسيرة وأكثر من (٥٠) ألف وجبة طعام وأكثر من (١٠٠) قنينة ماء وعلبة عصير قدمت في هذه المسيرة الحسينية.

ومن هنا تكون الطقوس الحسينية بحسب علم النفس الاجتماعي طرائق للدفاع يلجأ اليها الإنسان ليتقي المحرم أو ليتخلص منه أو يأتي بطقس بديل يعتقد بإمكانية تعويض ما قام به من ذنوب وبهذا تصبح الطقوس أدوات لتطهير النفس من تلك التهديدات الوجودية.

وهناك بعد سايكولوجي له أثر فعال في توجيه السلوك واستمرارية الطقوس وبخاصة في أوقات الشدائد والمحن والأزمات النفسية والاجتماعية وقد أشار عالم النفس الاجتماعي (أرث فروم) إلى الجذور السايكولوجية للطقس الذي هو في نهاية المطاف تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر التي تظهر عن طريق السلوك ومهما تكن الأسباب دينية أم اجتماعية وهناك أسباب أخرى لا واعية تتداخل معها.

إن ممارسة الطقوس ترفع الأفراد إلى نوع من الحماس والوجد الصوفي الذي هو في جوهره تنفيس النفس عن شتى أنواع المكبوتات الاجتماعية والسياسية والنفسية التي هي آليات الدفاع عن الذات ومعرفتها واختبارها. مثلما هي شكل من أشكال التمرد السلبي والمؤقت أكثر من كونه تمرداً نحو الآخر الذي هو سبب فيه.

ويعتقد بعض أن المشاركة الوجدانية في شعائر عاشوراء والحزن والبكاء الحار واللطم يصبح قليلاً بالموازنة بحجم المأساة الدامية التي تحملها الحسين وأهل بيته وصحبه يوم عاشوراء، وحيث تتحول المعاناة التي تثقل كاهل الإنسان المحاصر من كل مكان إلى وعد وأمل في الشفاعة والنجاة.

ماذا جاء في كتاب (مؤامرة التفريق بين الأديان الإلهية) للدكتور مايكل برانت (من كواليس المخابرات) وقد أجريت معه مقابلة كشف بها عن برنامج مدروس للمخابرات الأمريكية (C.I.A) وموجه ضد المذهب الشيعي والشيعة عامة.

وخلاصته: ظلّت البلاد الإسلامية لقرون تحت سيطرة الدول الغربية ورغم أن أكثر الدول الإسلامية نالت استقلالها في القرن الأخير، إلا أن أنظمتها السياسية والاقتصادية ولا سيما الثقافة الاجتماعية ما زالت تحت السيطرة الغربية وتابعة لها، حتى الآن، أبان عام ١٩٧٩ نجحت الثورة الإسلامية في إيران، وسبب ذلك لأمريكا خسائر فادحة، في بداية الأمر كنا نتصور أن الثورة جاءت تلبية لإرادة الشعب

المتدين، وأن قادتها استغلوا ذلك واستفادوا من الأوضاع يومذاك وأنه بزوال الشاه يمكننا الاستمرار في سياستنا من خلال أفراد مناسبين، لكن بمرور الزمن وتوسع الثقافة للثورة الإسلامية ومفاهيمها وسريانها لدول المنطقة بالخصوص العراق وباكستان ولبنان والكويت ودول أخرى، عرفنا أننا مخطئون جداً في تحليلاتنا السابقة. في إحدى جلسات الاستخبارات بحضور كبار مسؤوليها وحضور ممثل الاستخبارات البريطانية، توصلنا إلى نتيجة حاصلها: ((أن الثورة في إيران لم تنتصر بسبب سياسة الشاه تجاهها فقط، بل هناك عوامل أخرى، مثل قوة القائد الديني وهيبته، واستغلال ثقافة الشهادة التي ترجع جذورها إلى حفيد نبي الإسلام (الإمام الحسين عليه السلام) قبل ١٤٠٠ عام وتروج هذه الثقافة وتمتد في العمق كل عام أيام محرم عبر العزاء الحسيني. وتوصلنا أن الشيعة هم أكثر فعالية وأنشط من بقية أتباع المذاهب الأخرى. في هذه الجلسة جرى تحقيق أوسع على المذهب الشيعي ووضع خطة وبرامج منظمة طبق تلك التحقيقات، وقد رصدت لذلك (٤٠) مليون دولار.

وقد تم ترتيب ذلك على مراحل ثلاث:

١. جمع المعلومات والإحصاءات اللازمة.
٢. تحديد الأهداف على المدى القصير، مثل البرامج الإعلامية ضد الشيعة، وإثارة الاختلافات بينهم وبين المذاهب.
٣. تحديد أهداف على المدى البعيد، تتكفل باجتثاث المذهب الشيعي من أصوله.

عملاً بالمرحلة الأولى أرسل محققون وخبراء لتوفر إجابات عن الأسئلة الآتية:

أ. ما مناطق نفوذ الشيعة في العالم وأماكن وجودهم؟

ب. كيف نثير الخلافات الشيعية السنية وكيف نستفيد من ذلك لصالحنا؟

بعد جمع المعلومات من مختلف مناطق العالم وبعد البحث وأخذ وجهات النظر حصلنا على النتائج المهمة الآتية:

وقد عرفنا أن قدرة المذهب الشيعي وقوته في يد المراجع وعلماء الدين، وأنهم يتولون حفظ هذا المذهب وحراسته، وأن مراجع الشيعة لم يتبعوا ولم يتعاونوا طيلة هذا التاريخ مع أي حاكم غير مسلم أو حاكم ظالم، ففي إيران فشلت بريطانيا بفتوى الشيرازي، واقتلعت حكومة الشاه الموالي لأمريكا من جذورها بيد الخميني، وفي العراق لم يستطع صدام بكل قواه إجبار الحوزة العلمية في النجف على الانقياد له، مما اضطره لتضييق الخناق عليها ومحاصرتها سنين عديدة. وفي لبنان أجبر آية الله الإمام موسى الصدر جيوش بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على الفرار، وحزب الله اللبناني أوجع جيش إسرائيل وألحق به خسائر عديدة، وفي البحرين رغم صغر حجمها قامت أحداث كبيرة ضد الحكومة وأجبرتها على إجراء الميثاق، ولا تزال تلك الأحداث جارية بشكل حرب باردة نتيجة عدم تلبية الحكومة لمطالب الشعب.

إن تحقيقاتنا أوصلتنا إلى نتيجة:

وهي أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال مواجهة

المذهب الشيعي ومحاربته بصورة مباشرة وإن هزيمته هي في غاية الصعوبة، وأنه لا بد من العمل خلف الستار. نحن نأخذ ونعمل طبق المثل القائل (فرق وأبِدْ) بدلاً من المثل الانكليزي (فرق تسد)، من أجل ذلك خططنا وضعنا برامج دقيقة وشاملة للمدى البعيد: من ذلك رعاية الشخصيات المخالفة للشيعة والترويج لمقولة كفر الشيعة بمؤلفات بالجهاد ضدهم من قبل المذاهب الأخرى في الوقت المناسب.

وتشويه سمعة المراجع وعلماء الدين من خلال الشائعات ونحوها كي يفقدوا مكانتهم عند الناس فيزول تأثيرهم من المسائل التي يجب الاهتمام بها (ثقافة عاشوراء) والاستشهاد في سبيل الله إذ إن الشيعة تبقى هذه الثقافة عندهم مهيئة ووهاجة عن طريق مراسم عاشوراء السنوية، لذا صممنا على تضعيف عقائد الشيعة وإفساها والعبث بثقافة (الشهادة) والاستشهاد وأن نحرف المفاهيم حتى يبدو للناظر أن الشيعة ليسوا سوى طائفة جاهلة تهوى (الخرافات).

دروس من النهضة الحسينية

قال الحسين عليه السلام: ((أني لا أعلم أصحاباً أفضل من أصحابي)):

١. الحر الرياحي (درس في التوبة) هل لي من توبة يا أبا عبد الله؟ ثم تاب وقدم كل شيء في سبيل الله وبعد شهادته قال له الحسين عليه السلام ((أنت حر في الدنيا وحر في الآخرة)) وتحرر من عبودية القديم إلى عبودية الله.
٢. عابس الشاكري (درس في العشق الحسيني) والثقة في مبادئ الحسين وأهدافه.
٣. العباس بن علي بن أبي طالب (درس في الوفاء والإيثار والأخوة).
٤. زينب (عليها السلام) (درس في القيادة والصبر والإعلام).
٥. زهير بن القين (هداية واعية ودرس في المبدأية).
٦. برير بن خضير (درس صحبة القرآن) ونهج واضح في نصرة الحسين.
٧. حبيب بن مظاهر الأسري (درس في وضوح الفقيه والحق).

لقد دخل هؤلاء الأصحاب والصفوة في مشروع الإصلاح الحسيني لأنهم ذوو بصيرة واعية. إن الثورة الحسينية تزداد توهجاً كل عام ورمزية لكل البشرية ضد الطغيان وتزداد فاعلية وتأثيراً.

س/ كيف نوظفها؟ ونستثمرها في واقعنا المعاصر؟ هل نوظفها للوحدة الإسلامية ونقول (الحسين يوحدنا)، أم نوظفها للفرقة والمذهبية؟ هذا هو جوهر الشهادة الحسينية وأهداف الحسين عليه السلام.

عولمة مبادئ الحسين وحوار الحضارات

بعد أن أصبحت الاحتفالات بذكرى الشهادة الحسينية واسترجاعها كل عام وانتشارها في جميع دول العالم لا بد من عولمتها والعالم اليوم أحوج ما يكون إلى عولمة المبادئ الحسينية وانتشارها في حياة الناس في كل أنحاء العالم الذي يعاني من الظلم والاضطهاد وسيطرة الأقوياء على الضعفاء.

الإمـام الحسين ومـبـادؤه تحـرك فينا كل غرائز النهوض للمواجهة وتعيدنا إلى الأصول الحقيقية للدين والأخـلاق والقيم الإنسانية، كلما ابتلعتنا العولمة الغربية المادية وجرتنا إلى عالمها ومواقفها المادية وملهياتها الدنيوية، سحبتنا المبادئ الحسينية إلى الأصـول الحقيقية للإسلام ومبادئ محمدﷺ فهي صمام الأمان لأجيالنا من ضياع هويتهم العربية الإسلامية.

فهذه الشعائر والطقوس لها آلية (الاسترجاع الجـماعـي) الـذي يعيد إلى الـذاكـرة أصـول الدين والقيم وهي بهذا المعنى أدوات جماعية للتذكير بما جرى في المعركة والحفاظ عليها من الضياع وكذلك بالقيم والتقاليد والعادات الموروثة المرتبطة بها، هو ما يفسره البكاء واستمرار الشعائر الحسينية عبر الأجيال وهي صمام أمان ضد عمليات التغيير الاجتماعي وضياع الهوية الوطنية والدينية: ((وقد علمتنا الأنثروبولوجية الثقافية أن العمليات التي يتم فيها تناول الطقوس هي ذات وظيفة مزدوجة فهي أولاً تعيد تنشيط التصورات الدينية وثانياً تغذي الإحساس بالعودة إلى الجذور الأصلية ويمكن ردها إلى حماية الذات من الذوبان والحفاظ على الهوية من التغيرات الاجتماعية وإلى حالات القلق والثورة والاستلاب الناتجة منها والتي لا يمكن للإنسان العادي التفريج عنها بسهولة[٥٠].

الحصاد والدروس

انتهى الـيـوم الرهيب بـآلامـه وأمجـاده، ليبدأ من جديد بدروسه وبحصاده وآثـاره الإيجابية في المجتمع. ومن عجيب التاريخ أن الذين اشتركوا في قتل الحسين لقوا حتفهم على أبشع الصور وأشهرها مذلة وهواناً من ابن زياد إلى شمر بن ذي الجوشن إلى يزيد وجميعهم قتلوا فارين هاربين ليس فيهم من مات ميتة رجل.

إن جذوة الحق والصمود التي اختارها الحسين وأصحابه بدمائهم (لم تنطفئ) بل ازدادت تألقاً وبهاء ما تمثل في أخته العظيمة (زينب) وفي ابنه (زين العابدين).

لم ينحنوا للعاصفة وجباههم عالية رغم الكارثة، ولم تحنِ الكارثة جباههم وجباه من بقي من آل بيت الحسينعليه السلام وجـاء الـدور الزينبي مكملاً للدور الحسيني ونراه واضحاً حينما دخلت على ابن زياد الـذي توقع أنهم منكسرون ضعفاء وسيتوسلون به ليعطف عليهم من أخت الحسين البطلة.. أخت البطل علمته أن الهزيمة إنما هي هزيمة الروح ونحن لم نهزم لأننا دعاة الحق. تساءل ابن زياد من هذه؟ فلم تجبه.. ثم كرر السؤال فلم تجبه حتى أجابته إحدى النساء.

تلك زينب بنت فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فقال ابن زيـاد مدارياً خزيه: الحمد لله الـذي فضحكم وقتلكم، فأجابته زينب:((بل الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه، وطهرنا من الرجس تطهيراً. وإنـما يفتضح الفاسق،ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا ابن زياد، فعاد يسألها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟؟

فأجابته في عزة إيمانها: ما رأيتُ إلا جميلاً هؤلاء قـوم كتب عليهم القتل فـبرزوا إلى مضاجعهم..

وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة[٥١].

هذا هو الجمال الكربلائي جمال القيم والمثل التي حملتها هذه المعركة التي أضحت مهرجاناً للشجاعة والبطولة والشهادة وقدمت أجمل أطروحة للعالم في التضحية والفداء.

بعد وصول السبايا إلى دمشق قام يزيد بضرب ثنايا الحسين عليه السلام بمخصرة كانت في يده وأنشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل

((أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء؟ فلا يستبطئ في بغضنا أهل البيت ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم داعياً بأشياخك ببدر أن يشهدوا، منحنياً على ثنايا الحسين سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك فو الله ما فريتَ إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، أني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، ولكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين)).

وهكذا أخزت السيدة زينبُ الطاغيةَ يزيد وهكذا أهانته وهو في أوج عظمته. ثم توجه ركب السبايا تتقدمه السيدة زينب يرافقها الإمام زين العابدين بإعادة رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الجسد الطاهر في كربلاء وبعد أداء مراسيم زيارة الإمام وصحبه الكرام، توجه الإمام السجاد عليه السلام برفقة السيدة زينب بزيارة العباس، ثم توجه موكب السبايا بالعودة إلى المدينة المنورة مع ما جرى لهم من معاناة ومآسي وآلام خلال معركة الطف والمعاناة في الكوفة والشام وما تعرضوا له خلال تلك المسيرة الشاقة والطويلة[٥٢].

ونختم حصاد كربلاء ودروسها بعظمة التضحية وما دامت في سبيل الحق فهي لا تنتظر أجراً إلا رضا الله وجنانه، وليس معنى كون التضحية مثوبة نفسها أن تحرم أبطالها من مزاياها وعطاياها.. وإنما أن ترتفع بتلك المزايا إلى مستوى القداسة والقدوة والخلود ينهي بكل مغانم الدنيا وأمجادها الزائلة!!

إن شرف الإنسان وجدارته بالحياة لا يزالان وسيظلان منوطين بقدرته على التضحية النبيلة من أجل الحق، أما أجسادهم فقد استقرت تحت الثرى الدامي في أرض كربلاء.

وأما رأس الحسين فقد راحت البقاع الإسلامية تتنافس أدعاء لشرف إيوائه فيدعى كل منها أن الرأس عندها يعطر أرضها ويبارك حماها. وذلك أمر يتسق مع حياة البطل ومصيره.

لم يعد الرأس ملكاً لأرض دون أرض ولا لدين دون دين. ولا لشعب دون شعب.

صار ملكاً للحق ويملأ بسناه ارادة الحياة عزماً وضميرها نوراً.

المعترضون والمنتقدون لزيارة الأربعين

١. هناك أسباب طائفية عند بعضهم ممن ضللت عقولهم بأحقية الخلافة ليزيد بن معاوية.
٢. الحكام المستبدون ومحبو السلطة لأن ثورة الحسين عليه السلام ترفض الظلم والاضطهاد والقتل.
٣. إن زيارة الحسين (إلقاء النفس إلى التهلكة) لأن هناك الآلاف ممن قتل جراء العمال الإرهابية.
٤. إن زيارة الأربعين سبب في إيقاف الأعمال والمتاجر وإغلاق الدولة لمؤسساتها.

إن إغلاق الدوائر مخالف لتعاليم الإسلام وتوصيات المرجعية، ووجود الموظف في دائرته لقضاء حاجات الناس أهم من زيارة الأربعين، ولكنه يمكن أن يصلي ركعتين ثم يتوجه إلى جهة الحسين عليه السلام ويزوره عن بعد ويبقى في عمله. وبذلك يكون قد حصل ثواب الأمرين، ثواب الزيارة وثواب قضاء حوائج الناس ومعاملاتهم.

أما فوائد الزيارة اقتصادياً فهي كبيرة إذ عززت موقع العراق من حيث السياحة الدينية فقد بلغ عدد زوار كربلاء (٥٠) مليوناً سنوياً، وزيارة الأربعين وحدها (٢٥) مليون زائر من كل أقطار الدنيا والمردود الاقتصادي يسهم في إنعاش الوضع الاقتصادي على عموم الاقتصاد العراقي فالمطارات نشطة جداً والسوق العراقية ستكون مكاناً لإنفاق الزوار والسواح، وللفقراء فرصة لزيادة دخلهم الفردي.

الدولة السعودية تحصل على إيرادات كبيرة من حجاج بيت الله الحرام على الرغم مما تسببه فريضة الحج من متاعب حكومية وشعبية تستمر شهاًر أو أكثر ولكن لا تجد أحداً يقلل من شأن الحج.

إن هناك بعض الدول تتسابق وتعطي الرشاوي حتى تستقبل الناس في مدة محدودة من الزمن كما يحصل في استضافة كأس العالم أو الألعاب الأولومبية والمسابقات الأخرى.

إنهم يحصلون على مردودات اقتصادية وسياسية واجتماعية من الضيوف.

إن الشيعة يركزون في شعائرهم في شهري محرم وصفر ولاسيما زيارة الأربعين ولا يصنعون هذا مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قال اننا لا نقوم بالتعزية وإقامة المراسيم في وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام والزهراء والحسين عليه السلام؟!.

الهوامش

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين، ج٢، ص٣٠١؛ الحسيني، السيد مرتضى (٢٠١٢) لماذا نزور الإمام الحسين، العراق، ص٨٩.

(٢) الآثار الباقية، ص٣٢١، سنة مع الركب الحسيني، ج٦، ص٢٩٠.

(٣) الحسون، مبروك (٢٠١٥)، زيارة الأربعين والأدوار التي مرت بها العتبة العباسية، طبع البصرة، مركز تراث البصرة.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ١/ ١١٤.

(٥) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ١/ ١١٤.

(٦) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ١/ ١١٤.

(٧) ينظر مثير الأحزان، ص١٠٧؛ اللهوف، ص١١٤؛ إقبال الأعمال، ج٣، ص٩٦.

(٨) تهذيب الأحكام (الطوسي)، ج٦، ص١١٣.

(٩) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨، باب تأكد استحباب زيارة الحسين، ج١.

(١٠) عماد الدين الطبري في كتابه بشارة المصطفى، ص٧٥.

(١١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، ص٧٨٨.

(١٢) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٤.

(١٣) الحسيني، السيد مرتضى (٢٠١٢)، ص١٥، لماذا نزور الحسين، ط١، العراق.

(١٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨.

(١٥) لماذا نزور الإمام الحسين (٢٠١٢)، السيد مرتضى الحسيني، العراق، ص٦١.

(١٦) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٤.

(١٧) مستدرك الوسائل، ج١، ص٢٦١.

(١٨) لقمان: ١٩.

(١٩) النور: ٤٥.

(٢٠) لقمان: ١٨.

(٢١) الفرقان: ٦٣.

(٢٢) القصص: ٢٥.

(٢٣) النور: ٣١.

(٢٤) الصميائي، حيدر (٢٠١٥)، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين كربلاء.

(٢٥) رواه البخاري: رقم ١٤٦/ ١.

(٢٦) وسائل الشيعة للحر العاملي: ١٤/ ٤٤٠.

(٢٧) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٢٥/ ١٢٦.

(٢٨) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٦٧/ ٢٣٧؛ كاب صحيح الترغيب للألباني.

(٢٩) كامل الزيارات، لابن قولويه.

(٣٠) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٢٣٧.

(٣١) كتاب صحيح الترغيب، للألباني: ٦٨٧.

(٣٢) شجرة طوبى: ١/ ٣.

(٣٣) لسان العرب لابن منظور ١٤، مادة مشى.

(٣٤) هود: ٦١.

(٣٥) الأنعام: ١١.

(٣٦) النور: ٤٥.

(٣٧) لقمان: ١٨.

(٣٨) الإسراء: ٣٧.

(٣٩) القصص: ٢٥.

(٤٠) الفرقان: ٦٣.

(٤١) نقلاً عن الجزيرة نت: ٥/ ٤/ ٢٠٠٣م..

(٤٢) وسائل الشيعة، للحر العاملي: ١٤/ ٤٤٠.

(٤٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ١٤/ ٤٤٠.

(٤٤) محمد حسين فضل الله (الندوة)، العدد ١٤، ص٤٩٥ (٢٠٠٥) طبع، قم-إيران.

(٤٥) ابن قولويه، كامل الزيارات: ٢٥-١٦.

(٤٦) زميزم، سعيد رشيد (٢٠١٠)، الإمام الحسين شاغل الدنيا، مؤسسة البلاغ، بيروت.

(٤٧) البقرة: ٥١.

(٤٨) المائدة: ٢٦.

(٤٩) الأعراف: ١٤٢.

(٥٠) نظرة اجتماعية للشعائر الحسينية، مجلة أطياف، بغداد.

(٥١) زميزم، سعيد رشيد (٢٠١١) نساء حول الرسول، دار الجوادين، بغداد.

(٥٢) خالد محمد خالد (١٩٩٥).

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

١. الألباني، صحيح الترغيب.

٢. البرقي، المحاسن: ١/ ١٤٦.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨.

٤. الحسون، معروك (٢٠١٥)، زيارة الأربعين والأدوار التي مرت بها.

٥. الحسيني، السيد مرتضى (٢٠١٢) لماذا نزور الإمام الحسين، العراق.

٦. خالد محمد خالد (١٩٩٥)، أبناء الرسول في كربلاء، دار التربية، بغداد.

٧. النراقي، جامع السعادات: ٢/ ١٧٧.

٨. زميزم، سعيد رشيد، نساء حول الحسين، كربلاء.

٩. الساعدي، محمد عبد الرضا (٢٠١٨)، زيارة الأربعين المباركة، دلالات وآفاق، ط١، كربلاء

١٠. السيد ابن طاووس (١٤١٧هـ)، اللهوف في قتلى الطفوف، إيران، ج١، ١١٤.

١١. شجرة طوبى، الحائري.

١٢. الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد، ص٧٨٨.

١٣. الصحباني، حيدر (٢٠١٥)، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين، كربلاء.

١٤. الطبرسي، عماد الدين، بشارة المصطفى، ص٧٥.

١٥. الطبسي محمد جعفر (٢٠١٢) مع الركب في الحسيني، ج٦، ص٢٩٠، طبع إيران.

١٦. الطوسي تهذيب الأحكام، ج٦، ص١١٣.

١٧. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٤.

١٨. مستدرك الوسائل، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٤.

١٩. منبر الأحزان، ص١٠٧.